

**موقف رشيد العبيدي من المصطلح اللساني
دراسة تحليلية
م.م علي حاتم خليل**

**The position of Rashid al-Obeidi from the
linguistic term
Analytical study**

Ali Hatem Khalil

لقد حاول البحث الوقوف على آراء رشيد العبيدي من المصطلح اللساني ، فقد كان حريصاً على سور اللغة العربية من اختراقه من قبل الدارسين في الغرب ، وقد قسم البحث الى مقدمة ومبحثين تليها خاتمة وقائمة بمصادر البحث وكما يلي:
المبحث الاول بعنوان : تعريف موجز بحياة رشيد العبيدي.المبحث الثاني وقد تضمن: موقف رشيد العبيدي من المصطلح اللساني .

Abstract

The research has sought to identify the views of Rashid AL Obeidi from the linguistic term. He was keen on the Arabic language wall to be of penetrated by scholars in the West. The research section is divided into introduction and two section followed by a conclusion and a list of sources of research:

- 1- The first topic entitled: Brief definition of the life of Rashid AL Obeidi.
- 2-The second topic included: Rashid AL Obeidi position from the linguistic term.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الاولين والآخرين وعلى آله وأصحابه أجمعين.وبعد :لقد كان الأستاذ الكبير رشيد العبيدي من العلماء العراقيين المعاصرين الذين برعوا في اللغة تدريساً وتأليفاً، ولا بد لي في المبحث الأول أن أتعرض لحياته وأثاره وسيرته العلمية وما ترك لنا من مؤلفات وبحوث ودراسات .وما تجدر الإشارة إليه أن الأستاذ الدكتور شاكر محمود السعدي جزاه الله خيراً ألف كتاباً بعنوان (الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي حياته وجهوده) فأغنى الباحثين عن التوسع في حياته ، كما كتب عنه آخرون مقالات متفرقة ، لذلك سأعرض حياته باختصار ، وأركز في المبحث الثاني في تسليط الضوء على موقف رشيد العبيدي من المصطلح اللساني وقد اشتمل البحث على مبحثين:
المبحث الأول : تعريف موجز بحياة رشيد العبيدي.المبحث الثاني : موقف رشيد العبيدي من المصطلح اللساني وختمت البحث بخاتمة موجزة لخصت فيها أهم النتائج.

المبحث الأول

تعريف موجز بحياة رشيد العبيدي

أولاً- اسمه :

وهو الدكتور رشيد عبد الرحمن صالح رحيم العبيدي .

ثانياً- ولادته وأسرته :

ولد عام ١٩٤٠م في الأعظمية في محلة النصبة في بيت إسلامي محافظ، فكان والده يعمل بقالاً لبيع الخضروات والفواكه ، ويضمن البساتين مؤدياً أمانته في إعالة أسرته وتعليمهم، أما أمه ، فعلى الرغم من أنها ربة بيت لا تجيد القراءة والكتابة، إلا أنها كانت تحفظ شيئاً من القرآن عن طريق السماع ما يعينها على أداء صلاتها وفهم عبادتها وتربية أولادها (١) .

ثالثاً- نشأته الأولى :

تلقى تعليمه القرآني الأول على يد الملا صالح والد عبد الرزاق العبيدي سكرتير الرئيس العراقي الأسبق عبد السلام عارف وهو في سن الخامسة . وهيات له منطقتة الأعظمية مكاناً وتكويناً جيداً بسبب موقعها الديني والاجتماعي ، وذلك لقربه ودرجة اتصاله بمجالس العلم التي كانت تقام في زوايا جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، والذي يحتوي على مكتبة كبيرة ساعدت العبيدي في الاطلاع على الكتب القيمة التي كان لها تأثيرٌ بارزٌ في حياته ، وكانت دراسته الابتدائية في مدرسة الأصمعي، ثم انتقل إلى مدرسة الأعظمية الثانية، وكانت تدعى باسم مدرسة الشماسية(٢) .

عند إكماله للإعدادية لم يتوان في إكمال دراسته، فأسرع لكي يكون أحد طلاب كلية الآداب / جامعة بغداد ، وانضمَّ إلى قسم اللغة العربية. وكانت هذه في السنة نفسها التي مرض والده فيها مرضاً شديداً توفي على أثره ، وقد نظم قصيدة رثى بها والده بعنوان: (أبي قد طواه الردى) (٣). تخرَّج في كلية الآداب عام ١٩٦١ م - ١٩٦٢ م ، ثم عمل مُدرِّساً في ثانوية الصويرة في محافظة واسط، وبقي فيها ثلاث سنوات، وكانت حياته في هذه الحقبة مفعمة بالجد والعطاء؛ فقد أسهم بقصائد في كثير من المناسبات والاحتفالات الدينية والسياسية والاجتماعية، وبعد هذه المرحلة انتقل للتدريس في ثانوية الكفاح ببغداد، ثم انتقل إلى معهد المعلمين في الأعظمية لتدريس طرائق تدريس اللغة العربية إلى جانب مواد اللغة العربية الأخرى (٤) ثم رحل العبيدي إلى مصر لمواصلة طريقة العلمي؛ وتقدّم لنيل شهادة الماجستير، وبالرغم من صعوبة الحياة وقساوتها، فقد استطاع أن يحقق هدفه وحصل على الماجستير وبتقدير ممتاز وكان عنوان رسالته في الماجستير: (أبو عثمان المازني ومنهجه في النحو والصرف) من كلية الآداب جامعة القاهرة ، وبعد عودته إلى بغداد عُيِّن في كلية الشريعة عام ١٩٦٨م حيث عمل مدرِّساً فيها (٥). عاد العبيدي إلى مصر ليكمل دراسته للحصول على الدكتوراه ، وقبِل فيها، إلا أن كلية الآداب في جامعة بغداد طلبت من طلبتها بجامعة القاهرة أن لا يبقوا في مصر مدة تزيد على اثني عشر شهراً متواصلة ، مما اضطر العبيدي إلى تأجيل دراسته، فعاد إلى بغداد لكي يُمدد إجازته الدراسية، وأثناء عودته إلى العراق انتدب للتدريس في المملكة العربية السعودية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة من عام ١٩٦٩م - ١٩٧٢م ، وفي أثناء ذلك حصل على الإجازة من جامعة بغداد ليذهب مرة أخرى إلى مصر ويناقش رسالة الدكتوراه، وفعلاً أكملها عام (١٩٧٢م) وكان عنوان أطروحته: (الأزهرى والمعجمية العربية)، وحصل على درجة الامتياز بمرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب - جامعة القاهرة (٦).

خامساً- مناصبه :

فضلاً عن المناصب السابقة التي شغلها ، فقد شغل المناصب الآتية :

١. درس في كليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة من سنة ١٩٦٨م إلى سنة ١٩٧٢م.
٢. ودرس في جامعة صدام للعلوم الإسلامية ١٩٩٢ م.
٣. رئاسة قسم اللغة العربية في كلية ابن رشد بجامعة بغداد عام ١٩٧٤م ولغاية ١٩٧٥م.
٤. ودرس في كلية الآداب بمراكش من سنة ١٩٨١م إلى سنة ١٩٨٤م.
٥. عمل مديراً لمركز البحوث والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية ببغداد عام ١٩٩٥م لغاية ٢٠٠٢م.
٦. أصبح رئيساً لقسم اللغة العربية في كلية الآداب - الجامعة الإسلامية عام ٢٠٠٥م لغاية ٢٠٠٧م
٧. عين عميداً لكلية التربية للبنات عام ٢٠٠٥م لغاية ٢٠٠٧م. (٧).

سادساً- نشاطاته :

٨. شارك في ندوات ومؤتمرات علمية داخل وخارج القطر ومنها :
٩. ندوة طوفان عن ابن كمال باشا في تركيا عام ١٩٧٦م.
١٠. ندوة السيوطي في مؤتة في الأردن عام ١٩٩٢م.
١١. ندوة القاضي عبد الوهاب المالكي في الإمارات العربية عام ٢٠٠٣م.
١٢. مثل العراق في مؤتمر لوكرابي بليبيا.
١٣. شارك في عدد من الجمعيات العلمية والأدبية :
١٤. عضو هيئة التحرير لمجلة جامعة الكوفة .

١٥. عضو جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين .
١٦. عضو المجمع العلمي العراقي .
١٧. عضو اتحاد المؤرخين العرب .
١٨. عضو اتحاد الاجتماعيين العرب .
١٩. عضو رابطة التدريسيين الجامعيين العراقية (٨) .

سابعاً - مؤلفاته (٩) :

للعبيد أكثر من مئة وخمسين بحثاً في اللغة والأدب ومناهج البحث وتحقيق النصوص وإحياء التراث العربي الإسلامي ، ونشر العديد من قصائده الشعرية في الصحف والمجلات العراقية والعربية. وما تجدر الإشارة إليه أنّ رشيد العبيدي لديه القدرة على التأليف السريع؛ فهو يؤلف بسرعة فائقة جداً، فكتابه (معجم مصطلحات العروض والقوافي) كان قد ألفه في غضون شهر واحد. وكتابه الذي ألفه في المغرب، وعنوانه: (التطبيق العملي لمنهج البحث الأدبي وتحقيق النص) كان قد ألفه في غضون أسبوعين، وهذه السرعة في التأليف ناتجة عن سعة مخزونه العلمي وتواصله الدائم مع المعرفة .

وفيما يأتي أبرز مؤلفاته :

١. أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ، جامعة بغداد ١٩٨٨م.
٢. أبو طالب المأموني حياته شعره لغته بغداد ١٩٨٩م.
٣. أبو عثمان المازني النحوي (١٠) .
٤. الأدب والنفس البشرية (١١) .
٥. الأزهر في كتاب تذهيب اللغة أطروحة دكتوراه ١٩٧٣م .
٦. الإعراب من قواعد الإعراب لابن هشام (تحقيق) ١٩٧٠م.
٧. الألسنية والبحث اللغوي العربي (١٢) .
٨. البحث العلمي ومنهج تحقيق النصوص بغداد ١٩٨٧م.
٩. التطبيق العلمي لمناهج البحث الأدبي وتحقيق النص جامعة بغداد ١٩٨٧ .
١٠. تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب لعبد الرحمن ابن عبد الله باكثير الحضرمي بغداد ١٩٧٦م (تحقيق) .
١١. تذهيب اللغة للأزهري (استدراك على أجزاءه) (١٣) .
١٢. الحركة الاستشرافية - مراميتها، وأغراضها (١٤) .
١٣. الزمخشري اللغوي (١٥) .
١٤. شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلي (تحقيق) (١٦) .
١٥. شرح المكودي على ألفية ابن مالك (تحقيق) (١٧) .
١٦. العربية والبحث اللغوي المعاصر (١٨) .
١٧. فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي ١٩٨٨م .
١٨. قصيدتان رائعتان: للبرليوي الهندي، دراسة وشرح وتعليق (١٩) .

ثامناً - البحوث والمقالات (٢٠) :

لم يتوقف قلم العبيدي عن العطاء منذ عام ١٩٦٠م إلى قبل وفاته بقليل، فتعددت البحوث والمقالات في اللغة

والمصطلحات، وفنون الآداب، والنقد الأدبي اللغوي، والاستشارات اللغوية، وقد تجاوزت الـ (٥٠٠) بحث منها على سبيل المثال :

١. الإبدال في العامية وصلتها بالفصحى . مجلة المنهل السعودية ، الجزء ٢ المجلد ٣١ سنة ١٣٩٠م (٢١).
٢. أثر اللهجات في شرح ابن عقيل على الألفية ، مجلة الجامعة المستنصرية العدد ٥ سنة ١٩٩٥ .
٣. الأحرف المذلفة وتفاعلها مع الأصوات اللغوية وحروف الحلق ، مجلة الأستاذ العدد ٢ سنة ١٩٧٩ .
٤. الأصالة في التأليف اللغوي عند العرب ، رحلة في الفكر والتراث ، مجلة جامعة بغداد .
٥. أقباس من نور القرآن الكريم رسالة الإسلام العدد ٥٤ - ٥٥ السنة الخامسة ١٩٧٥م.
٦. الآلة والأداة للرصافي والاستدراك مجلة دراسات للأجيال العدد ٣ سنة ١٩٨١م.
٧. أهمية ومراعاة الضوابط في اللغة المثالية ، مجلة الأستاذ العدد ١ سنة ١٩٨٨م.
٨. البحث اللغوي وصلته البنوية في اللسانيات مجلة آداب المستنصرية العدد ٢ سنة ١٩٨٥م.
٩. التحقيق العلمي وأثره في إحياء التراث العربي ، مجلة الكاتب العدد ٨ السنة الثامنة ، سنة ١٩٧٤م.
١٠. تحقيق معنى كاد لابن كمال باشا ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية العدد ٥ ، سنة ١٩٧٣ .
١١. تقويم اللسان في ظل الحملة الإيجابية، مجلة جامعة صدام للعلوم الإسلامية العدد ٦ ، سنة ١٩٩٩ .
١٢. التناقض بين المذاهب الألسنية ، مجلة دراسات للأجيال ، ١٩٨٠ .
١٣. توصيف الشاهد من خلال ألفية ابن مالك ، مجلة جامعة صدام للعلوم الإسلامية العدد ٧ ، سنة ١٩٨٧ .
١٤. جهود ابن كمال باشا في اللغة العربية ، مجلة المجمع العلمي العراقي. المجلد ٣٨ الجزء ١ سنة ١٩٨٧ .
١٥. حروف الحلق وأثرها في التغيرات الصوتية، مجلة الأستاذ العدد ١ سنة ١٩٧٨ .
١٦. الحمام السجاع في الشعر العربي ، مجلة الأقلام ، ١٩٦٦ (٢٢) .
١٧. رسائل ابن كمال باشا مع شرح مرثية آدم ، مجلة البلاغ العدد ٥ ، ٦ سنة ١٩٧٥م.
١٨. رسالة في حروف العربية لأحمد بنا لمظفر بن المختار الرازي ت ٦٣١هـ، مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد ٢٠ الجزء ١ سنة ١٩٧٤م.
١٩. شرح بانث سعاد لابن البركات الأنباري ت ٥٧٧ هـ (تحقيق) ، مجلة آداب بغداد العدد ٨ سنة ١٩٧٤ .
٢٠. شعر خاصة العباسيين ، مجلة كلية الشريعة ، العدد ٥ سنة ١٩٦٩م (٢٣) .
٢١. شعر عروة بن أدينة ، تحقيق يحيى الجبوري ، مجلة العرب المجلد ٦ الجزء ٣ سنة ١٣٩١م.
٢٢. الشعور بالعمور للصفدي ، مجلة العرب المجلد ٨ الجزء ٤ سنة ١٣٩٣ .
٢٣. شواهد الزمخشري في أساس البلاغة ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٤١ الجزء ١ سنة ١٩٩٠ .
٢٤. عيوب اللسان واللهجات المذمومة ، مجلة المجمع العلمي العراقي. المجلد ٣٦ الجزء ٣ سنة ١٩٨٥ .
٢٥. كتاب التنبيه على غلط الجهل والنبه لابن كمال باشا (تصحيح وتعليق) ، مجلة المورد . المجلد ٩ العدد ٤ سنة ١٩٨١م.
٢٦. كتاب الحروف لأبي الفضائل الرازي ، مجلة المورد ، المجلد ٣ العدد ٤ سنة ١٩٧٤ .
٢٧. لغة الرصافي الشاعر (٢٤).

فضلاً عن عشرات المقالات في الصحف والجرائد المحلية والعربية ، كما أسس حقلاً لغوياً في مجلة إحياء التراث العربي الإسلامي بعنوان الرائد اللغوي عرض فيها للأخطاء اللغوية التي يقع فيها الكتاب والباحثون وتصحيحها (٢٥) .

تاسعاً- الرسائل التي أشرف عليها :

أشرف العبيدي على كثير من الرسائل الجامعية لطلبة عراقيين وعرب ، كما ناقش رسائل كثيرة أخرى ، وبلغت الأطروحات التي أشرف عليها لنيل الدكتوراه أكثر من ثمانين أطروحة، وناقش أكثر من سبعين، وأشرف وناقش مئات الرسائل للحصول على الماجستير في مختلف موضوعات اللغة وعلوم القرآن، وهذا للمدة من (١٩٧٣ م - ٢٠٠٢ م) فقط ، والتي أعقبها كانت أكثر بكثير مما تقدم (٢٦) .

عاشراً - نماذج من شعره (٢٧) :

قال في جواب على سائل: مالي أرى الشيب قد علاك وأنت في أول العشرينات من العمر؟ فارنجل العبيدي مباشرة:

قد شاب رأسي من هولٍ أجشمه بينا تراني على أعتابٍ عشرين
ماذا أقول لسنتين لو اعترضت وقد مررت على أهوالٍ ستين

وقال عندما وطأت قدمه أرض مصر، عند ذهابه أول مرة للدراسة، حياها بقوله:

أرض الكنانة إني نازل فيك حيت نيلك حي من يحييك
حي المشاعر إني ما زال هنا كنفحة من ربيع الروض أهديك
يا بنت نيلٍ تركت الأهل في أمل أهلي إذا افتقد الأهلون أهلك

وقال في حنينه إلى أرض الوطن - بغداد - وهو لا زال في مصر في أثناء دراسته:

بغداد يا مربعي مهدي وملتحمدي ما عدت في خلجات الأرض أسلوبك
ودعت فيك صحابي إخوتي سكني وبت ظمآن كاسٍ ملء أيديك

وعندما زار الأندلس وأمام باب قصر المعتمد بن عباد في إشبيلية قال ارتجالاً:

يا جذوة الوجد يا حبي الصادي وجلي بأندلس وجلي ببغداد
أهيم يا وطناً في مجد من صنعوا لك الشموخ وكانوا زندك الفادي
على الضفاف التي أمست مراعها مسارح الريم نام المنشد الحادي

وقال في افتتاح جامع الشهيد في ههب عام (١٩٩٦م):

يا مبنتي مسجداً لله تلقاه قصرًا بجنته يبني لك الله
من كان يرجو له الرحمن منزلةً فالبر يرفعه لا المال والجاه
إني رأيت ملاك الخير أجمعه أن يرفع المرء للرحمن مبناه

أحد عشر- مكانته :

إن ما تقدم يكفي للتدليل على المكانة العلمية المرموقة للدكتور رشيد العبيدي، وزيادة على ذلك فهذه بعض الشهادات التي قيلت بحقه : قال الأستاذ الدكتور بهجت الحديثي الذي عدّ العبيدي من كبار شعراء القصيدة الإسلامية قائلاً: "رشيد شاعر إسلامي كبير لا يُشق له غبار، متمكنٌ أمكن، يكتب قصيدتين على قافيتين مختلفتين في آنٍ واحد معاً، تتثال عليه القوافي انتثالاً وتأتيه المعاني إرسالاً وكأنه يغرف من بحر، يمتلك قدرة على ارتجال الشعر، يقول وهو ماشٍ ، وحين يلقاك ، وفي المقهى ، ولو أراد أن يجعل كل كلامه شعراً لاستطاع"^(٢٨). وقال عنه الدكتور محمد طالب مدلول - أستاذ الإعجاز في كلية الآداب: "لقد عرفت الأستاذ رشيد العبيدي - رحمه الله - عالماً ملماً بثنى مجالات المعرفة، متميزاً بأرائه الحرة وخاصة في محاضراته التي تتلمذت فيها عنده في قسم الدراسات العليا، وبفقده خسرت منابر العلم في بلادنا رجلاً مغواراً وفارساً من فرسان الشعر والعربية"^(٢٩).

أثنا عشر- وفاته :

رحل الأستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي رحمه الله تعالى إلى جوار ربه عن عمر ناهز السبعين عاماً إثر جلطة دماغية أصابته صباحة ٢٩ يوم الجمعة ٢١ محرم ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٩ شباط ٢٠٠٧ م، وصُلِّيَ عليه في مسجد أبي حنيفة النعمان. قال أخوه (محمد): "صَلَّينا عليه ثلاث مرات. قبل صلاة الظهر مرة، ومرتان بعد الظهر لآزدحام الناس على تشييعه"، ودُفِن في مقبرة النعمان في القبر الذي دُفِنَت فيه والدته نفسه (٣٠).

المبحث الثاني

موقف رشيد العبيدي من المصطلح اللساني

لم يقف الدكتور رشيد العبيدي مكتوف اليدين أمام التطور في الدراسات اللسانية التي غزت السوق الثقافية والمعرفية في الوطن العربي من طريق الترجمات، والتي تأثر بها في المقام الأول من درس في البلدان الأوروبية، وظهر مصطلح اللسانيات أو الألسنة الذي اضطلع به فرديناد دي سوسير في كتابه علم اللغة العام، بل أدلى بدلوه في الموضوع، وكانت له أكثر من مشاركة في هذا الجانب، كما ورد في قائمة مؤلفاته منها المقالات الآتية:

١. الألسنية المعاصرة والعربية.

٢. الألسنية والبحث اللغوي العربي.

٣. البحث اللغوي وصلته البنيوية في اللسانيات.

٤. مباحث في علم اللغة واللسانيات.

٥. التناقض بين المذاهب الألسنية.

لم يقف العبيدي موقف الانبهار من هذا الفن الوافد كما فعل كثيرون، بل سعى إلى تأصيل هذا العلم، وبين جهود علماء العرب المتقدمين فيه، فقال: "لقد سبقت إلى هذا المنهج في دراسة اللغة أمم، وكان للعرب في هذا المضمار يد طولى في وضع أسس البحث العلمي اللغوي، حين استقرؤوا نصوص لغتهم، واستنبطوا قواعدهم، ووضعوا أصواتهم، فكان من نتائج تلك الجهود وجود النحو العربي، وقواعد اللسان، والأساليب البيانية، والصور البلاغية، وأساسيات فصاحة التراكيب والألفاظ، وتنقية المفردات العربية مما داخلها من الأعجمي والغريب"^(٣١). وبين الأصالة العربية لعلم اللسانيات، بما يأتي:

١ البحث في التراكيب والصيغ والأبنية، والأساليب اللغوية الصحيحة، وظهر ذلك بما توارثته الأجيال من كتب النحو والصرف والبلاغة^(٣٢).

٢- الجمع والتصنيف لمفردات اللغة، ووصفها في مصنفات متنوعة المناهج والطرائق، كونت فيما بعد مدارس معجمية سواء تلك التي رتبت ترتيباً ألف بائياً مثل الجمهرة في اللغة لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، أو ترتيباً صوتياً كما فعله الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في العين، فضلاً عن المعجمات الأخرى المختلفة الخاصة مثل التي تناولت الدخيل والمعرب، والمتخصصة بالعلوم المختلفة، أو بالافتقار على بعض الموضوعات مثل (أسماء السحاب والرياح والأمطار) للزيادي (ت ٢٤٩هـ) (٣٣).

٣- الرصد اللغوي وتقويم اللسان، وهي حركة بحثية لغوية تهدف إلى مراقبة اللسان العربي، وذكر جهود العرب في هذا الميدان، منها كتاب (لحن العامة) لأبي عبيد (ت ٢١٣هـ) (٣٤).

٤- كتب الدراسات المتنوعة التي تناولت خصائص الحرف العربي ومخارجه والتبدلات الصوتية، وتأثير الأصوات في بعضها، وصلة الصوت بالمعنى، ودلالة المفردات وتغير الدلالات، واللهجات العربية، ومظاهر هذه اللهجات وأسباب تكونها، والتمييز بين رديئها وفصيحها، ومن أبرز هذه المؤلفات (الخصائص) لابن جني (ت ٣٩٢هـ) (٣٥). ومن ناحية أخرى أشار إلى أن البحوث العربية منذ الأعوام الأولى للرسالة السماوية اتجهت وجهة بحثية ألسنية سليمة اعتمدت في الأصل على ما

١- الملاحظة والرصد للغة المنطوقة التي سمعها الباحثون العرب من أفواه أهل اللغة، وقد مثل هذا الجهد أساساً متيناً من أسس البحث الألسني، وقد أملت العناية بالقرآن الكريم هذه العناية.

٢- ميز العرب اللهجات الفصحية من اللهجات المذمومة مثل: الطمطمانيية، والكشكشة، والشنشنة وغيرها، كما ميزوا الأفصح من الفصح (٣٦). ونظر العبيدي إلى جهود دي سوير نظرة إيجابية، إذ عدَّ جهوده الألسنية جهوداً بناءة، إذ جعل هدفه هو في البحث في اللغة من أجلها ولذاتها بعيداً عن تأثيرات التطور والتاريخ والمؤثرات الأخرى الاجتماعية والتربوية والنفسية، ثم تناول العبيدي التطور الذي حصل في دراسة الألسنية بعد سوسير، وأرجع العبيدي ذلك إلى ظروف خاصة باللغات الأوربية وتورها عبر حقب التاريخ المتعاقبة، وفرّق العبيدي بين التطور اللساني في أوربا وبين ما جرى عند العرب بقوله إن: " ظروف العربية استمدت ديمومتها وقوتها من التراث الأدبي الضخم، الذي وصل إلينا عن طريق الرواية، منذ عصر ما قبل الإسلام، ثم من القرآن الكريم الذي نزل بأفصح اللهجات العربية، وأكثرها إشراقاً وبياناً، ثم من الحديث النبوي الشريف... ثم من التراث الشعري والنثري بعد دخول الإسلام " (٣٧). وذكر أن اللغات واللهجات الأوربية لم يعنى بها كما عني باللغة العربية بقوله: " إن الذي حصل للغات الأوربية من تطور وتفسير لم يحصل للعربية منذ أن نقلها المعنيون بها حتى يومنا هذا " (٣٨).

في حين أن النتاج الأدبي الأوربي المعاصر لا صلة له بالتراث القديم، فمؤلفات شكسبير على سبيل المثال لا صلة له بالكتابات الإنكليزية المعاصرة، على خلاف الكتابات المعاصرة، في حين أننا نجد شعر الرصافي والزهاوي وغيرهما إنما هو امتداد للشعر العربي القديم. والحقيقة أن الدكتور العبيدي شخّص أحد الفروق المهمة بين الألسنية العربية والأوربية، فالأخيرة دعت الحاجة إليها، أما في العربية فقد استوعبها المتقدمون دراسة، ووصلت إلينا ناضجة متكاملة. وخلص من هذا أن الألسنية الأوربية كانت وليدة ظروف بلدانهم، على خلاف واقع الحال في العربية التي تطورت تطوراً تلقائياً أنموذجياً، فقال: " ومن هنا أجد من العسر والتعذر أن أطبق منهجاً بحثياً وضع مناسباً للغة، أو لغات ذات سمات خاصة على لغة امتلكت في نواتها قوة خلودها وبقاتها راسخة على خصائصها " (٣٩). ثم وجه نقداً موضوعياً للمهوسون بالألسنية الأوربية، وبمنهج دي سوسير من العرب، والذي " يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الألسنية الحديثة، ولاسيما المعنيين بالعربية، ممن تعلموا شيئاً عند الغربيين، أو اطلعوا على ما جاءت به الترجمات من كتابة البحث اللساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوربا بعد سوسير " (٤٠). لذا لم يكن العربي المعاصر بحاجة إلى إعادة نظر لدراسة اللغة العربية المعاصرة ووضع ضوابط وقواعد لها في حين احتاجت اللغات الأوربية إلى مثل ذلك النمط من الدراسة لتقرر من جديد وضع قواعد وأحكام ومعايير جديدة تضبط بها صور التغيير، وتكشف عن الخصائص الجديدة للغة المعاصرة (٤١)، فما الجديد الذي جاءت به الألسنية الأوربية إلى العربية؟ لو تأملنا في النظريات التي جاء بها ألسنية الغرب أمثال تشومسكي، وسوسير، ومارتيني. فقد تطرق العبيدي إلى نظرية تشومسكي الذي يرى أن بين الصفات الطبيعية قدرًا مشتركاً من الأحكام وهي نظره عرفها النحو العربي القديم على لسان المبرد والفارابي (٤٢)، كما بين العبيدي أن نظرية الدلالة عند سوسير المتكونة من الدال وهو الصوت والمدلول وهو الفكرة، والمشار وهو الشيء في الخارج وهذه العناصر الثلاثة لم تكن بعيدة عن البحث اللغوي العربي. يقول الجرجاني " وليت شعري هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني وهل هي إلا خدم لها ومصرفة على حكمها أو ليست هي سمات لها وأوضاعاً قد وضعت لتدل عليها فكيف يتصور أن تسبق المعاني وأن تتقدمها في تصور النفس إن جاز ذلك جاز أن تكون أسامي الأشياء قد وضعت قبل أن عرفت الأشياء وقيل أن كانت " (٤٣). وذكر الجرجاني في موضع آخر " واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم إذ قاسوا وشبهوا على أن الأشياء تستحق الأسماء لخواص معانٍ هي فيها دون ما عداها " (٤٤). وبين العبيدي أيضاً أن ما جاء به مارتيني وهو أحد الألسنيين الفرنسيين أن الأصوات العربية هي ثمانية وعشرون صوتاً أو تسعة وعشرون،

ولكنها أثنان وأربعون فونيماً، وهذا الاستنتاج الذي خرج به مارتييني ليس جديداً في ميدان البحث اللغوي، فعلماء التجويد القرآني قد رصدوا هذه الظاهرة واشبعوها بحثاً، بل إن سيبويه قد عني في كتابه الذي أشار إليه أنها أصبحت ٤٢ صوتاً^(٥)، "وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة"^(٦). وخلص من هذا أن الألسنية "بحث مقم على العربية، بعيد عن أنفاسها وخصائصها، وإدخال أهلها في ميدان غير مناسب لها، ولا متلائم مع طبيعتها، في الوقت الذي كانت الدراسات العربية الأصيلة قد أتت أكلها، وخدمت الحرف العربي خدمة لا مثيل لها، وأبرزت خصائص هذه اللغة إبرازاً متكاملًا، لا يحتاج معه أبنائها إلى مزيد من المداخلات والتعقيدات التي يتسم بها البحث الأوربي الحديث"^(٧) وهو يرى أن عناية المعاصرين باللسانيات إنما هو محاكاة للغربيين، فقال: "إن ما جاء به البحث اللغوي المعاصر، لم يكن إلا تقليداً أعمى للبحث الأوربي الغربي ومحاكاة لما عرفته الدراسة الأوربية من مصطلحات تتفق ومذاهبهم من تحليل اللغة الأوربية... بعيدة كل البعد عن خصائص العربية ودلالات ألفاظها، وصيغ مفرداتها وأساليب التعبير فيها واستقرار قواعدها وإحكامها، وتميز نظامها الصوتي من أنظمة اللغة الأوربية التي لم تعرف استقراراً ولا ثباتاً في عمرها الطويل..."^(٨). ورفض الدكتور العبيدي التمييز بين علم اللغة وفقه اللغة بقوله: "يطلق مصطلح الألسنية على علم اللغة الحديث، وهو مصطلح يرى الباحثون المحدثون في اللغة أن لا علاقة بينه وبين مصطلح فقه اللغة الذي كان معروفاً منذ عهد قديم...، ولئن كان الباحثون العرب يطلقون على كل من يعمل في ميدان اللغة مصطلح لغوي أو عالم لغة، كما يطلقون على الأبحاث التي تتناول قضايا اللغة من بنية مفردات، واشتقاقها، وصيغها، وخصائص اللغة... فقه اللغة إن الأوربيين حتى عهد متأخر أطلقوا على العاملين في هذه الحقول... فقهاء لغة وسموا العمل فيها: فقه اللغة"^(٩). والسؤال المطروح هنا: هل إن دعوة الدكتور رشيد العبيدي هذه أملاها عليه حبه للعربية، أو لابتعاد عن تعقيدات الألسنية وصعوبات المنطلقات التي أتت بها، أو هو عدم القدرة على مواكبة الدراسات الحديثة، انطلاقاً من التعارض بين القديم والجديد؟ الحقيقة أن الدكتور العبيدي فهم حقيقة هذه الدراسات واستوعبها، وأن التعقيدات والصعوبات ليست هي السبب ولا تعصبه للعربية، بل لأن هذه الدراسات لا توافق المناهج العربية اللغوية، إذ إن أصول هذه النظرية والتطورات التي لحقتها وافقت الواقع اللغوي الأوربي، وهو يختلف اختلافاً بيناً عن واقعنا اللغوي، فنحن لسنا بحاجة إلى مثل هذه الدراسات، فعلم اللغة العربية قد وصلت إلى أوج تطورها. ويؤكد رأي العبيدي جملة حقائق معاصرة نلمسها اليوم عند الباحثين المتخصصين بالألسنية يمكن اختصارها بما يأتي:

- ١- إن أغلب المتخصصين بهذا الفن لا يجيدون قواعد اللغة العربية ولا نحوها، فيقعون بأخطاء لا يقع بها الطلبة، وهذا يعني عجز الألسنية عن تطوير لغتهم الأم، أو على أقل تقدير المحافظة على الموروث العربي، كما يشهد على هذا استحداثهم لاصطلاحات عربية تخالف قواعد العربية وأصولها مما يؤشر ما هم عليه من ضعف لغوي.
 - ٢- وهناك سؤال يفرض نفسه: ما الذي قدمته الدراسات الألسنية للعربية اليوم؟ إن الجواب هو النفي. وهذا يؤكد صحة المنطلقات التي ذكرها العبيدي في رفضه لفرض الألسنية على العربية، ويؤكد هذه الحقيقة ما أشار إليه العبيدي بقوله: "فليس غائباً عن أذهان الباحثين الألسنيين اليوم التشاجر والخلاف بين المذاهب الألسنية المعاصرة، وما تستخدمه من مصطلحات وما تختلقه من تفسير للظواهر اللغوية المختلفة، ومجالاتها المتعددة في الأصوات والدلالات والأساليب والتنظيم والصيغ والمفردات يصل في كثير من الأحيان إلى حد التناقض ليس في الأفكار فحسب، بل في المنهج أيضاً فضلاً عن المصطلحات والتعابير المبهمة الغامضة التي تحتاج إلى تبين وإيضاح"^(١٠).
- ويؤيد رأي العبيدي ما قاله المستشرق الفرنسي الشهير أرست رينان في معرض حديثه عن اللغة العربية في (الموسوعة المسيحية): "فهذه اللغة المجهولة التاريخ تبدو لنا فجأة بكل كمالها ومرونتها وثروتها التي لا تنتهي، لقد كانت هذه اللغة منذ بدايتها بدرجة من الكمال تدفعنا للقول بإيجاز: إنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحاضر لم تتعرض لأي تعديل ذي بال، فاللغة

العربية لا طفولة لها، وليس لها شيخوخة أيضاً، منذ ظهرت على الملأ، ومنذ انتصاراتها المعجزة، ولست أدري إذا كان يوجد مثل آخر للغة جاءت إلى الدنيا مثل هذه اللغة من غير مرحلة بدائية، ولا فترات انتقالية، ولا تجارب تتلمس فيها معالم الطريق" (٥١). والذي يتبين للباحث أن الدكتور العبيدي انصب جهده على التعريف بهذه الدراسات مع البحث عن أصول لها في تراثنا العربي القديم، وأن الدرس الصوتي العربي لا يحتاج إلى المناهج المستوردة التي لا تقدم جديداً أصيلاً حقيقياً، وهذه غاية سامية، وهو لم يكن رافضاً لهذه النظريات رفضاً مسبقاً، وإنما كان يبني موقفه على ما في هذه النظريات من إيجابيات يمكن أن تفيد منها العربية، وسلبيات ينبغي لنا ولها تجاوزها. ويمكننا القول إن أهم مظاهر نقده للسانيات تمثل في دراساته عن التناقض بين المناهج اللغوية الغربية ونقد بعضها بعضاً. والذي يبدو راجحاً أن ما ذهب إليه العبيدي صحيح من حيث الأصالة، وسبق العرب في هذا الجانب، إلا أن الدراسات المعاصرة ركزت على جوانب مهمة لا ينبغي إغفالها.

الذاتة

١. الدكتور رشيد عبد الرحمن صالح رحيم العبيدي رحمه الله تعالى من علماء العربية المعاصرين الذين تميزوا بوفرة العطاء وتنوع الجهود .
٢. لديه أكثر من (٢٥) كتاباً مؤلفاً ومحققاً .
٣. كتب أكثر من (٤٧) بحثاً فضلاً عن عشرات المقالات في الجرائد والصحف اليومية .
٤. عرف عنه أنه كان شاعراً جيداً .
٥. كان مواكباً للتطورات اللغوية والأدبية يدل على ذلك عنايته بالألسنية وبالبنوية وغيرهما .
٦. رفض الألسنية لأنها وليدة الواقع الأوربي ولا تتوافق مع واقعنا اللغوي المتطور أصلاً .
٧. إن الدكتور العبيدي لا يبني موقفه على حسب حداثة الفكرة المطروحة أو قدمها ، بل يبني موقفه على قناعاته الفكرية .
٨. لم يكن متعصباً في أفكاره ، بل يحاور ويناقش للوصول إلى الحقيقة ، وفي حال عدم كفاية الأدلة يبقى مجال التفاعل مفتوحاً .

المصادر والمراجع

١. الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي حياته وجهوده ، للدكتور شاكر محمود السعدي، منشورات الجامعة العراقية للعلوم الإسلامية ، ٢٠١١م .
٢. الألسنية المعاصرة والعربية ، للدكتور رشيد العبيدي ، مجلة الذخائر ، العدد ١ ٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٣. الدكتور رشيد العبيدي وجهوده ، للدكتور رؤوف نجم الدين ، مجلة الأمن القومي ١٩٨٨م .
٤. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٥. رشيد العبيدي وجهوده الثقافية والأدبية ، للدكتور عبد الإله الواعظ ، مجلة الأستاذ ، ١٩٩٠م.
٦. الشاعر الأديب رشيد العبيدي ، لسعد عواد الحلبوسي ، مقال منشور على الانترنت -http://hoffaz.org.3albal.com/alforqan/print.php?id=649
٧. العربية والبحث اللغوي المعاصر، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، منشورات المجمع العلمي - العراق، ٢٠٠٤م.
٨. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩. مباحث في علم اللغة واللسانيات ، للدكتور رشيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٠. معجم المؤلفين والكتاب العراقيين ، الدكتور صباح نوري المرزوك ، الدار العربية للموسوعات ، منشورات بيت

(١) ينظر : رشيد العبيدي وجهوده الثقافية والأدبية ، للدكتور عبد الإله الواعظ ، مجلة الأستاذ ، ١٩٩٠م : ١٧٥ ؛ الدكتور رشيد العبيدي وجهوده ، للدكتور رؤوف نجم الدين ، مجلة الأمن القومي ١٩٨٨ : ١١٢ ؛ الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي حياته وجهوده ، للدكتور شاكر محمود السعدي ، منشورات الجامعة العراقية للعلوم الإسلامية ، ٢٠١١م : ١٦ ؛ الشاعر الأديب رشيد العبيدي ، لسعد عواد الحلبوسي ، مقال منشور على الانترنت <http://hoffaz-org.3albal.com/alforqan/print.php?id=649> .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) ينظر : رشيد العبيدي : ١٧٥ ؛ الدكتور رشيد العبيدي : ١١٢ ؛ الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي : ١٦ ؛ الشاعر الأديب رشيد العبيدي .

(٤) ينظر : المراجع نفسها .

(٥) ينظر : المراجع نفسها .

(٦) ينظر : المراجع نفسها .

(٧) ينظر : رشيد العبيدي : ١٧٦ ؛ الدكتور رشيد العبيدي : ١١٣ ؛ الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي : ١٨ — ٢٤ ؛ الشاعر الأديب رشيد العبيدي .

(٨) ينظر : رشيد العبيدي : ١٧٦ ؛ الدكتور رشيد العبيدي : ١١٣ ؛ الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي : ١٨ — ٢٤ ؛ الشاعر الأديب رشيد العبيدي .

(٩) اعتمدت في توثيق كتبه كتاب معجم المؤلفين والكتاب العراقيين ، الدكتور صباح نوري المرزوك ، الدار العربية للموسوعات ، منشورات بيت الحكمة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٠م : ٨٨_٩١ إلا في مواضع اعتمدت فيها مقال الشاعر الأديب رشيد العبيدي وقد أشرت إليها في مواضعها .

(١٠) ينظر : الشاعر الأديب رشيد العبيدي .

(١١) ينظر : المرجع نفسه .

(١٢) ينظر : الشاعر الأديب رشيد العبيدي .

(١٣) ينظر : الشاعر الأديب رشيد العبيدي .

(١٤) ينظر : المرجع نفسه .

(١٥) ينظر : المرجع نفسه .

(١٦) ينظر : المرجع نفسه .

(١٧) ينظر : المرجع نفسه .

(١٨) ينظر : المرجع نفسه .

(١٩) ينظر : المرجع نفسه .

(٢٠) اعتمدت في توثيق مقالاته كتاب معجم المؤلفين والكتاب العراقيين : ٨٨ — ٩١ إلا في بعض المقالات أشرت إلى مصادرها في مواضعها .

(٢١) الدكتور رشيد العبيدي للصائغ : ١٧٧ .

(٢٢) ينظر : الدكتور رشيد العبيدي للصائغ : ١٧٧ .

(٢٣) ينظر : الدكتور رشيد العبيدي للصائغ : ١٧٧ .

(٢٤) ينظر : الشاعر الأديب رشيد العبيدي .

- (٢٥) الدكتور رشيد العبيدي للصائغ : ١٧٨ .
- (٢٦) ينظر : رشيد العبيدي : ١٧٧ ؛ الدكتور رشيد العبيدي : ١١٤ ؛ الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي: ٢٦ ؛ الشاعر الأديب رشيد العبيدي .
- (٢٧) ينظر في هذه النماذج : الشاعر الأديب رشيد العبيدي .
- (٢٨) ينظر : الشاعر الأديب رشيد العبيدي .
- (٢٩) ينظر : المرجع نفسه .
- (٣٠) ينظر : رشيد العبيدي : ٧٨ ؛ الدكتور رشيد العبيدي : ١١٤ ؛ الأستاذ الدكتور رشيد العبيدي: ٢٨ ؛ الشاعر الأديب رشيد العبيدي
- (٣١) الألسنية المعاصرة والعربية، للدكتور رشيد العبيدي، مجلة الذخائر، العدد ١ شتاء سنة ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م: ١١ - ١٢ .
- (٣٢) المرجع نفسه: ١٢ .
- (٣٣) الألسنية المعاصرة والعربية: ١٢ - ١٣ .
- (٣٤) المرجع نفسه: ١٤ - ١٦ .
- (٣٥) المرجع نفسه: ١٦ - ١٧ .
- (٣٦) المرجع نفسه: ١٨ - ١٩ .
- (٣٧) الألسنية المعاصرة والعربية: ٢٠ .
- (٣٨) المرجع نفسه: ٢٠ .
- (٣٩) المرجع نفسه: ٢٢ .
- (٤٠) الألسنية المعاصرة والعربية: ٢٢ .
- (٤١) ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات : ٢٠٩ .
- (٤٢) ينظر: رشيد عبد الرحمن العبيدي وجهوده اللغوية: ٢٣٠ .
- (٤٣) دلائل الاعجاز، الجرجاني: ٣٠٨
- (٤٤) المرجع نفسه: ٣١٧ .
- (٤٥) العربية والبحث اللغوي المعاصر : ٢٤٠ .
- (٤٦) الكتاب لسبويه : ٤/٤٣٢ .
- (٤٧) العربية والبحث اللغوي المعاصر: ٢٢ .
- (٤٨) مباحث في علم اللغة واللسانيات،: ٦
- (٤٩) العربية والبحث اللغوي المعاصر: ٢١٩ .
- (٥٠) الألسنية المعاصرة والعربية: ٢٢، مباحث في علم اللغة واللسانيات : ٢١٠ .
- (٥١) نشرت الترجمة على موقع الوراق www.evuae.net/Core/dg/dg_comment?ID=2086&dgid .